الباب الخامس

الانترنت والهوية

الهوية مصطلح يستخدم لوصف مفهوم الشخص وتعبيره عن فرديته وعلاقته مع الجماعات كالهوية الوطنية أو الهوية الثقافية ويستخدم المصطلح خصوصاً في علم الاجتماع وعلم النفس، وتلتفت إليه الأنظار بشكل كبير في علم النفس الاجتماعي جاء مصطلح الهوية في اللغة العربية من كلمة هو.

والهوية هي مجمل السمات التي تميز شيئا عن غيره أو شخصا عن غيره أو مجموعة عن غيرها كل منها يحمل عدة عناصر في هويته وعناصر الهوية شيء متحرك ديناميكي يمكن أن يبرز أحدها أو بعضها في مرحلة معينة وبعضها الآخر في مرحلة أخرى.

الهوية الشخصية تعرف شخصا بشكله واسمه وصفاته وجنسيته وعمره وتاريخ ميلاده الهوية الجماعية وطنية أو قومية تدل على ميزات مشتركة أساسية لمجموعة من البشر، تميزهم عن مجموعات أخرى أفراد المجموعة يتشابهون قى الميزات الأساسية التي كونتهم كمجموعة ، وربما يختلفون في عناصر أخرى لكنها لا تؤثر على كونهم مجموعة فما يجمع الشعب الهندي مثلاً هو وجودهم في وطن واحد ولهم تاريخ طويل مشترك، وفي العصر الحديث لهم أيضاً دولة واحدة ومواطنة واحدة، كل هذا يجعل منهم شعباً متمايزاً رغم أنهم يختلفون فيما بينهم في الأديان واللغات وأمور أخرى.

مشكلة الهوية

ربما أغلبكم يعرف موقع Yamli الذي يتيح لمن لا يملك لوحة مفاتيح عربية تحويل الكلمات العربية المكتوبة بحروف إنجليزية إلى حروف عربية مؤخراً أعلن الموقع إحصائية لافتة جدا للنظر تقول الإحصائية أنه طيلة الأربع سنوات من عمر الموقع، تم استخدام الخدمة لكتابة ملياري كلمة نعم، ٢ مليار يبدو ظاهريا كأن هذا المشروع عمل عبقري لمساعدة من لا يملك لوحة مفاتيح عربية للكتابة بالعربية لا، الحقيقة أنه ككل الحلول العربية- مجرد حل ترقيعي لا غير، يؤزم الأزمة أكثر مما يحلها فلو نظرنا إلى قائمة الدول الأكثر استخداما لذلك الموقع سنجد: السعودية، تونس، مصر، لبنان، المغرب والأردن هل ترون المشكلة؟ هذه كلها دول عربية، رغم عدم وجود مشكلة في الحصول على لوحة مفاتيح عربية كل أنظمة التشغيل الرئيسية حالياً تأتي تلقائيا بدعم العربية، وسعر لوحة المفاتيح أرخص حتى من الفأرة فلماذا يصر الكثيرون على كتابة العربية بحروف غير عربية، ويتبجحون: سوري، لا نملك لوحة مفاتيح عربية فالقضية ليست لوحة مفاتيح عربية أو دعم النظام للعربية، إنها مسألة هوية وإحساس بالانتماء لو أردت العمل في أي دولة من العالم،في وظيفة غير الوظائف المهمشة، عليك أولا أن تتقن

لغة ذلك البلد، إلا الدول العربية، فهي تستقبل كل من هب ودب، وتجبر الآخرين على أن يعملوا تحت إمرته بلغته هو.

كندا تحتاج إلى الكثير من أصحاب الكفاءات، لكنها لا توظف إلا من يتحدث الفرنسية أو الإنجليزية ألمانيا تحتاج أيضاً للكثير، لكنك لن تخط حدودها قبل إتقان الألمانية وفرنسا تدفع للجامعات المغربية لتدريس مناهج معينة وتمنح الطلاب منحاً كاملة للدراسة في فرنسا، لأنها تحتاج إلى أصحاب الكفاءات، لكنها قبل ذلك تزرع فيهم الثقافة الفرانكفونية لكن في الجانب الآخر، يستقبل المغرب الفرنسيين بأذرع مفتوحة لإدارة شركات مغربية بالفرنسية دول الخليج تحتاج للكثير من الكفاءات الموجودة أصلاً في الدول العربية، لكنها تتجاهلها وتأتي بكفاءات من بريطانيا وأمريكا وتمنحهم حق فرض الانجليزية كلغة وحيدة للتخاطب معهم، في أماكن العمل وفي الحياة العامة وتلك هي المشكلة الأكبر ولا يمكن إنكار أزمة نقص المحتوى العربي على الإنترنت، لكننا لن نحل تلك الأزمة بالمؤتمرات والمقالات، بل لا نحتاج أصلاً إلى حلها هي ستحل من تلقاء نفسها يوم نقدر فعلاً هويتنا العربية ويوم نحس بانتمائنا الحقيقي.

لقد استفاد العالم العربي كثيراً من تكنولوجيا المعلومات والاتصالات وتطبيقاتها في كل المجالات وتشير الدراسات الى أن عدد مستخدمي الانترنت في العالم العربي سيبلغ ١٩٧ مليون شخص عام ٢٠١٧ أما

دول الخليج فقد حققت تقدماً ملموساً في هذا المجال، حيث سيصل عدد مستخدمي الانترنت الى ٤٠ مليون شخص، بينما سيزيد تغلغل الانترنت الى ٦٧% خلال السنوات الثلاثة القادمة وتحتل الامارات العربية المتحدة المركز ٤٢ في دليل اقتصاد المعرفة بنقاط تبلغ ٦٩٤ كذلك نشير الى أن خمس جامعات عربية أربع جامعات سعودية وأخرى مصرية دخلت في التصنيف الاكاديمي لقائمة شنغهاي ورغم المؤشرات السابقة الناتجة من مسح ودراسات البنك الدولي الآ ان هناك تحفظات مؤداها أن ارتفاع معدلات انتشار تكنولوجيا الاتصالات والمعلومات في مجتمع معين قد لا يؤدي مباشرة الى تحسين الفوائد الاقتصادية وذلك يعني ضرورة دراسة السياق الثقافي والاجتماعي للمجتمع الحاضن لهذه التكنولوجيا والتطورات الحادثة فيه ورغم التأثيرات الايجابية لتكنولوجيا الاتصالات والمعلومات على التنمية لكن هناك تأثيرات سلبية قد تؤثر وتعيق الاستفادة من جانبها الايجابي، ويتمثل ذلد في المشاكل المرافقة لاستخدامها فمثلاً، في الجانب الاجتماعي أصبح الانسان يميل الى التواصل الالكتروني مع غيره بدلاً من العلاقات الاجتماعية المباشرة، كما تتيح منظومة تكنولوجيا الاتصالات والمعلومات امكانية استخدامها في الغش والاحتيال وتنامي الفساد إذا استخدمت تطبيقاتها بشكل غير قانوني ولا ننسى الاباحية والسطو على حسابات الاشخاص والدخول غير

القانوني على المواقع الالكترونية فذلك يدعو الدول إلى تطوير التشريعات القانونية المتعلقة بالجرائم الرقمية والرقابة المستمرة على سريان المعلومات للتأكد من إطارها القانوني والتعاون الدولي للتأكد من استخدامات الشبكة اللاكترونية في التطبيقات التي تخدم الانسان وتحافظ على البيئة وتساهم في تنمية دائمة وأخيراً، مهما قيل عن التكنولوجيا وتأثيرها على الانسان والمجتمع يبقى الانسان هو صانع هذه التكنولوجيا لكن السؤال الذي يطرح نفسه هو ما عبّر عنه انشتاين ذات يوم عندما قال أخاف اليوم الذي تتفوق فيه التكنولوجيا على النشاط الانساني، عندها سيصبح العالم لديه أجيال من الحمقى والحديث عن الهُوية في الواقع المعاصر، ليس مِن قبيل الترَف الفكري، بل أصبح منَ الأساسيات التي ينبغي أن يتوفر عليها جُهود واعية مثقَّفة مِنْ أبناء الأمة.

كيف هددت هويتنا؟

الهوية الإسلامية مستهدفة من يومها الأول، فمنذ بعثة النبي ص ومشركوا قريش والمنافقون في توافق تام لوأد هذه الدعوة، وإيقاف مدّها، وبتعاقب السنوات، وتبدل الدول؛ ازدادت الهجمة شراسة وقوة، وبلغت هذه الهجمة ذروتها في العصر الحديث، فلم يدخر أعدائنا جهداً في تفريغ هذا الدين عن محتواه لطمس الهوية الإسلامية والعربية، وقد سار هذا الأمر وفق منهج مرتب ومنظم نوجزه في النقاط الآتية:

١ـ إضعاف العقيدة، وزعزعة الإيمان.

٢ـ التآمر على اللغة العربية.

٣ـ تقسيم الدين إلى قشر ولُب.

٤ـ استلاب الهوية الإسلامية وتشتيتها.

٥ـ استقطاب المرأة المسلمة، والتغرير بها.

٦ـ إشغال المسلمين بالترفيه والشهوات.

٧ـ السيطرة العلمانية، والترويج لدعوى العولمة والتغريب.

٨ـ الاهتمام المبالغ فيه بإحياء الأساطير الوثنية والخرافات الشركية.

٩ـ طمس المعالم التاريخية، والحفريات التي تصحح تاريخ العقيدة.

١ـ النشاط التنصيري الذي يستغل الفقر والمرض.

١١ـ استغلال العامل الاقتصادي في تذويب الهوية.

١٢ـالحرب النفسية المدعمة بالأساليب التعسفية . [1]

مظاهر ضعف الهوية الإسلامية لدى الشباب المسلم

تتكاثر المظاهر التي قد يراها البعض انفتاحاً وتقدماً ورقياً في حين يراها الآخرون إذلالاً وتبعية وذوباناً للهوية ويمكنك أن ترى أزمة الهوية الإسلامية في الشباب الذي يعلق علم أمريكا في عنقه وفي سيارته، وفي الشباب الذي يتهافت على تقليد الغربيين في مظهرهم ومخبرهم، وفي

١ـ الهوية أو الهاوية للدكتور محمد إسماعيل المقدم؛ ص: ٣١ـ

المسلمين الذين يتخلون عن جنسية بلادهم الإسلامية بغير عذر ملجئ ثم يفتخرون بالفوز بجنسية بلاد الكفرة وفي المذيع المسلم الذي يعمل بوقاً لإذاعة معادية لدينه من أجل حفنة دولارات، وفي أستاذ الجامعة الذي يسبح بحمد الغرب صباح مساء وفي كل ببغاء مقلد يلغي شخصيته ويرى بعيون الآخرين ويسمع بآذانهم وباختصار: يسحق ذاته ليكون جزءاً من هؤلاء الآخرين أيبتغون عندهم العزة ؟.

وبلغت الأزمة حد أن الأمة صارت تستورد قيمها من غيرها، لتبني حضارتها ولاشك أن هذا أعظم خداع للذات ؛ لأنها تبني بيتها على جرف هار، فمن يتصور أن في اتباع قيم الآخرين ومناهج حياتهم الوقاية من بطش أمم شاء الله لها العلو في الأرض زمناً والإفساد فيها إلى حين لهو واهم؛لأن صدام الحضارات والأديان والثقافات أصبح حقيقة واقعة ومعلوم من التاريخ والواقع بالضرورة.

ويرى آخرون:أن الخطر الأكبر الذي يهدد الأمم والشعوب في هذا العصر،هو ذلك الخطر الذي يمسّ الهوية الثقافية والذات الحضارية والشخصية التاريخية للمجتمعات الإنسانية في الصميم،الذي قد يؤدي إذا استفحل،إلى ذوبان الخصوصيات الثقافية التي تجمع بين هذه الأمم والشعوب، وتجعل من كل واحدة منها، شعباً متميزاً بمقومات يقوم عليه كيانه،وأمة متفردة بالقيم التي تؤمن بها وبالمبادئ التي تقيم عليها

حياتها ومهما تكن الألفاظ الجامعة التي يوصف بها هذا الخطر الذي بات اليوم ظاهرةً تكتسح مناطق شتى من العالم، بما فيها المناطق الأكثر نموّاً والأوفر تقدّماً في المجالات كافة، وأياً كانت طبيعة هذه الظاهرة وحجمها والأدوات التي تستخدم في تحريكها،فلاشك أن الهوية والثقافة بخصوصياتهما ومكوّناتهما ومقوماتهما هما المستهدف في المقام الأول، وأن الغاية التي يسعى إليها الماسكون بأزّمة السياسة الدولية في هذه المرحلة،هي محو الهويات ومحاربة التنوع الثقافي، والعمل على انسلاخ الأمم والشعوب عن مقوماتها، لتندمج جميعاً في إطار النموذج الأمريكي الأكثر إبهاراً، والأشدّ افتتاناً في العصر.

أهم المظاهر التي تدل على أزمة الهوية لدى الشباب المسلم :

١- الانبهار الشديد بالتقدم الغربي على مستوى التكنولوجيا والحضارة المادية.

٢- التطلع لمشابهة الغربيين والأمريكيين وغيرهم من الشعوب المتقدمة مع الشعور بالدونية.

٣- الهروب من القيم المقيدة للسلوك الإباحي تشبها بالغربي الجنسي والسلوكي.

٤- ضعف الولاء والانتماء للتشكيل الإسلامي القيمي والمبادئ والمعيشة.

وسائل وآليات الغرب لمحو الهوية لدى الشباب المعاصر :

١- تحريف المفاهيم الدينية، كي تتفق مع الأفكار التي تروجها العولمة المعاصرة،باستبعاد الإيمان بالغيبيات واعتباره مضادا للعقلانية العلمانية.

٢- إيجاد فئات وشرائح ومؤسسات في المجتمعين العربي والإسلامي تعمل كوكيل للثقافة الغربية،بتقديم المساعدات المالية لمشاريع أبحاثها وعقد الندوات واللقاءات التي تدعم توجهاتها الثقافية للهيمنة على الثقافتين العربية والإسلامية

٣- إنشاء مجموعة من المراكز والمؤسسات التي تؤثر مباشرة على الثقافة العربية، مثل جامعات التنصير ومراكز اللغات والترجمة ومؤسسات خيرية ومدارس أجنبية يتمثل دورها جميعاً في التأثير الفكري والتربوي واللغوي على طلبة العلم والمعرفة، وفرض مناهجها وأفكارها مع التقليل من مواد اللغة العربية والتربية الإسلامية.

٤- يعد الإعلام مرتعاً خصباً ومجالاً فسيحاً يتم من خلاله الغزو الثقافي لإشاعة السموم والفتن من أجل تحطيم القيم والثوابت الأخلاقية، ولقد تحولت وسائل الإعلام إلى قنوات لنشر الرذيلة والانحطاط بالغريزة البشرية وانهيار السلوك الإنساني والتباس الحق بالباطل.

٥ - إن قنوات التلفزة تشكل تهديداً خطيراً ومعول هدم للهوية الإسلامية الحضارية والثقافية من خلال بث البرامج والأفلام والمسلسلات الخليعة والمسرحيات الهابطة .

غياب الهوية الثقافية لدى الشباب

تظهر للمتأمل صراحة آثار غياب الهوية الثقافية على حال البلاد الاسلامية العربية التي تمتلك مخزوناً ثقافياً إسلامياً جعل منها إمبراطورية عالمية إبان تخلف الغرب في العصور الوسطى حيث امتلكت الإمبراطورية الإسلامية القوة السياسية والاقتصادية والعلمية والثقافية وكانت مصدر النور الحضاري للعالم أجمع في ذلك الزمان ، وما كان ذلك إلا من اعتزاز المسلم بهويته وشعوره بأنه الأفضل والأجمل لأنه يحمل راية العلم ويتحكم فى الاقتصاد ويمتلك من القوة ما لم تستطع دول العالم المفتوح مقاومته ،فانتشرت الثقافة الإسلامية في بلدان العالم لقرون عدة كان فيها المسلم يشعر بالتفوق ويتمنى الغربي لو ينتمي لهذه الأمة القوية ذات القيم و المبادئ الشاملة الخالدة الفاضلة.

حيث نجد في الفترة الأخيرة من القرن العشرين الكثير من شباب الأمة العربية والاسلامية قد تحللوا من هويتهم الثقافية وتخلوا عن عاداتهم وتقاليدهم التي هي أصل ومنبع الإسلام والعروبة واتجهوا يلهثون وراء تقليد الغرب فى أشياء غير مفيدة وعادات وتقاليد مختلفة وبعيده كل البعد

عن أخلاقنا وعاداتنا لنجد الشباب العربي والمسلم غارق في بحر الأفكار الخاطئة والتقليد الأعمى والانبهار المغلوط بالغرب، وتعد دراسة الهوية الثقافية لشباب الأمة أمراً بالغ الأهمية لما يشاهد من سلوكيات بعض الشباب الرافضة لثقافة المجتمع والمتمردة عليها، ومحاولة تقمص ثقافات أخرى لإشباع طموحات معينة، ومن ثم نجد بين الشباب من يتنكرون لهويتهم الثقافية ويتمردون على خصائصها،وقد يحتقرون عاداتهم وقيمهم وأصالتهم،فنجد من بين الشباب من يتشبث بالإفرنجية لهجة،ومن يشارك الفرنجة عاداتهم في الطعام والشراب والزي ونمط التفكير وأسلوب المعيشة بوجه عام، وقد اخذ هذا التقليد أشكالاً مختلفة كسراويل الشباب ذوات الخصر المنخفض الساقطة إلى أسفل الوسط وقصات الشعر والتسريحات العجيبة والتفنن القذر لقصات اللحية الشاذة والغريبة ودق الوشم وارتدائهم للإكسسوارات الغريبة والعجيبة والحركات النسائية خاصة عندما تجدهم في أروقة الشوارع والأرصفة يتمايلون ويرقصون رقصات عجيبة تدعو للاشمئزاز والحيرة إلى آخر ما هنالك من تلك الصرعات المشاهدة في الشوارع والحدائق والمراكز التجارية التي أصبحت واقعاً في مجتمعاتنا العربية والإسلامية وفي خضم ما تفرضه تلك التحديات العالمية بأبعادها المختلفة، وما تحدثه من الاقتحام المتعدد الوجوه لأنماط الحياة، لم يعد أمام مجتمعنا الذي يقف

متفرجاً ومشدوهاً ولا يدري أين موقعه، فيصبح التساؤل: هل نترك شبابنا يذوب وينصهر في تلك الثقافات الدخيلة؟ أو نتقوقع حول ثقافتنا المحلية ونعزل شبابنا عما يجري من حولهم ونتمسك بالماضي بما لا يقبل المسايرة؟ أم نفتح ثقافاتنا المحلية على الثقافة العالمية دون ذوبان لتأخذ منها ما وصلت إليه من تقدم وازدهار وترفض ما لا يتفق وإرثنا الثقافي أما الأسباب والدوافع فهي كثيرة ومتنوعة ومتشعبة، وربما من أهمها الفراغ الفكري والعاطفي بالإضافة للتشتت بين أصالة الماضي وحداثة المستقبل وعدم إمكانية الجمع بينهما في ظل غياب أو تغيب الدور الرائد لحضارتنا في واقع المجتمعات.

١/ ضعف الوازع الديني: فما أصاب شبابنا بسبب عدم تمسكهم بدينهم كما يجب وعدم فهم الكثيرين منهم لحقيقته وما ذلك إلا لإعراضهم عنه وعدم تفهمهم له وتقصير الكثير من العلماء والأهل في شرح مزاياه وإبراز محاسنه وحكمه وأسراره .

٢/ ضعف التربية والتوجيه الخاطئ للأجيال: التربية أساس النشء وموضع ترسيخ للمفاهيم السليمة ونقطة التحول هنا أن يتربى الشاب أو الفتاة على محاولة البحث عن الترفيه والحياة الأمتع بدون قيود واضحة وصارمة فلا غرابة بعد ذلك أن نرى الانجراف الكبير من قبل هذا الشاب نحو المعتقدات الخاطئة ،كلما تقدم به العمر وذلك باعتقاد ربما يكون جاداً

منه بأنه يريد أن ينبسط بحياته بعيداً عن الالتزام الديني الذي ربط وللأسف بصورة كاملة بالعادات والتقاليد البالية التي تنفر الجهال منه ، وبعض تلك العادات التي يتبعها شبابنا تندرج تحت الشرك بالله والعياذ بالله .

٣/ الإعلام: ومن أخطر وسائل الإعلام وأكثرها تأثيراً في الفرد هذا الفرد الالكتروني الذي أصبح أحد الأفراد المميزين فى العائلة الذي هو التلفاز فترك الأبناء يقضون الساعات الطوال في غسق الليل أمام التلفاز أسرى وعبيداً لا حول لهم ولا قوة ينصتون محلقين بأفكارهم وخيالهم لتلك الفضائيات غير الملتزمة التي تتخذ من الانحلال طريقاً للشباب في ظل الغياب الكامل والمعطل للأدوار التربوية المعهود عنها المسؤولية لهذا الجيل وقد استطاعت الافلام الغربية ومثيلتها من الافلام العربية في غالب الأحيان التسلل إلى عقول وعواطف ومشاعر أفراد المجتمع لاسيما جيل الشباب ، وقدمت النموذج الغربي على وجه الخصوص على أنه النموذج الوحيد للحياة الثقافية والاجتماعية الراقية ولعل أبرز الأدلة لمدى سطوة هذا التأثير ما تبثه القنوات الفضائية العربية من برامج وأفلام ومسلسلات مثل ستار أكاديمي ،الرئيس وغيرها، التي تلقى رواجاً كبيراً لدى المتلقي العربي في حين أنها تبث الكثير من المفاهيم الخاطئة إلى

المجتمع الإسلامي المحافظ كشرب الخمر وعقوق الوالدين والحرية الشخصية دون قيد ولا شرط ودون التفكير فى أصل ما يقومون بتقليده .

كذلك التقدم الراقي المتمثل في شبكة الإنترنت خاصة مع الهواتف المحمولة التي دخلت البيوت دون استئذان حيث أدخلت معها الفساد والانحلال الخلقي بأبشع صوره،فبينما كنا نخاف على الأبناء إذا خرجوا من البيت أصبحنا نخاف عليهم وهم في البيت بيننا، بل في غرف نومهم، فهذا الإنترنت وما أدراك ما الإنترنت؟ يحلق بهم إلى كل أصقاع الأرض من غير رقيب ولا وازع ديني أو أخلاقي يدلهم على الخير، أو يرشدهم إلى الفوائد العديدة من هذه التكنولوجيا التي قربت البعيد ونوعت وعددت وطورت مصادر البحث وآفاق المعرفة.

٤/ انبهار الشباب بالغرب: انبهر الشباب بالحضارة الغربية بسبب التفوق الغربي بالعلوم والصناعة والتكنولوجيا ،فيخلط شبابنا بين القيم الغربية والتكنولوجيا الغربية ويظنون أن الغرب متفوقون علينا في كل شي حتى القيم والتقاليد والعادات لكن الحقيقة الغرب متقدم تكنولوجيا فقط ومتأخر في جوانب أخرى روحية وأخلاقية واجتماعية.

٥ / الإحساس بالنقص وضعف الشخصية: يقول الدكتور طلعت عفيفي عميد كلية الدعوة بجامعة الأزهر: التقليد سبب خلل شخصية المسلم والشعور بالنقص والصغر والضعف والانهزام ثم البعد والعزوف عن

منهج الله وشرعه كما أنه مع الأيام يسبب حب وولاء للمقلدين وكم من شبابنا يقلد الغرب في كل شيء، صحيح لديهم جوانب أخرى مميزه لكن المشكلة الكبيرة أن شبابنا العربي المسلم لا يقلدهم في الأشياء المفيدة مثل العلم والطب والفضاء وغيره بل تقليدهم الأعمى ينصب على الجوانب السلبية في الغرب فقط وهذه هي المصيبة التي يجدر بنا التنويه إليها ، فتجد شاب عربي يلبس ملابس غريبة ومضحكه أحياناً ويقول هذه موضة وهذه ملابس الفنان فلان الفلاني،وعندما تنصحهم يقولون لك نحن في القرن الحادي والعشرين .

المحتوى العربي على الإنترنت وأزمة الهوية

حين تجرب، غير مرة، البحث بالعربية في الإنترنت ولا تجد ما يشبع حاجتك، تعرف أن المحتوى العربي على الإنترنت يعاني نقصاً كبيراً لا تحتاج إلى جوجل أو غيرها لإخبارك أن نسبة ١ % التي يمثلها المحتوى العربي من مجموع المحتوى على الإنترنت، نسبة ضئيلة جداً أنت تدرك ذلك منذ زمن، كما تدرك أنه قد مرت سنوات منذ سمعت أول مرة أن المحتوى العربي على الإنترنت بالكاد يمثل تلك النسبة الهزيلة، ولا شيء تغير طيلة تلك السنوات فالكثير من الحبر سال حول الموضوع، وكثير من المؤتمرات انعقدت دون فائدة المأساة أنك لو تتبعت تفاصيل تلك المؤتمرات التي تتحدث عن أزمة المحتوى العربي، لوجدت كل المتحدثين

فيها يتحدثون حول الموضوع بالانجليزية ولا شك، لو حاولت تبادل الحديث مع أحدهم، ولو في الشارع في موضوع عام، لما وجدته قادراً على تركيب جملة عربية خالصة لا تدخلها كلمات إنجليزية أو فرنسية بمناسبة أو دونها تلك هي المشكلة الحقيقية، إنها أزمة هوية وليست أساسا مشكلة محتوى.

الإنترنت فيما يخص المحتوى مجرد وسيط لا أكثر، مثله مثل الكتاب والتلفزيون إذا كان الإنتاج العربي للكتب لا يصل إلى ١١% من الإنتاج العالمي، فمن البديهي أن يكون الأمر مشابها على الإنترنت المشكلة الحقيقية ليست نقص المحتوى على الإنترنت، بل هي التخلف العربي عموماً ولا يمكن تجاهل أن نقص المحتوى العربي على الإنترنت أزمة تتطلب حلاً مستعجلاً، لكننا لن نستطع تطبيق أي حل ما لم نرتب أولوياتنا أولاً، ما لم نحل المشكلة الحقيقية.

غياب وعي الأنا:

ثمَّة وسطٌ تنمو فيه هذه الهزيمة وتكبر، ويمكن أن نَصِف هذا الوسط، أو نحدِّد ملامحه في ملمحَين هامَّين عياب وعى الأنا ويقظة وعى الآخر وممَّا يُؤسَف له أنَّه غياب مركَّب على أكثر من صعيد، وفي أكثر من آتجاه، أمَّا الأصعدة فتبدأ من العامَّة، وتنتهي بالنخب والمثقفين ممَّن يوجِّهون الرأي العام، ويؤثِّرون فيه، والسياسيِّين وأصحاب القرار في

مواقعهم المختلفة، كلُّ هؤلاء غائبون أو مغيَّبون عن قضية العربية، وهذه الأصعدة جميعًا تجعل من مسألة الغِياب سرطانًا يَستشري في جسد المؤسَّسات العلميَّة والتعليميَّة والإعلاميَّة، وبذلك تكتمل منظومة الغياب، التي تُعد أكبرَ تحدٍّ يواجه العربية اليوم، والتجليات واضحة: انزواء العربية في عقول النخب، بوصفها قضية حضاريَّة لها دورٌ هام في أيِّ مشروع للنهضة، وعدم حضورها على ألْسنتهم في إشارة واضحة إلى الإهمال، ثم النظرة الدونية للغة، سواء في مؤسَّسات البحث أو التعليم بمختلف مراحله، أو الإعلام بمختلف أشكالهَ فمؤسَّسات البحث لا تحفل اليوم بغير توصيل المعنى،ولا ترى في الخطأ والرَّكاكة والعُجمة ما يَشين، ومؤسَّسات التعليم تحاصر العربية في مادة من موادَّ عديدة، ومع كلِّ عام دراسي جديد يُختصر منها أو يُحذف، ومؤسَّسات الإعلام لا ترى في العربية إلاَّ تقعرًا لا داعي له، وهنا أيضًا تُحاصر اللُّغة لتصبحَ مجرَّد ألفاظ تُردَّد في سياق عمل فني للإضحاك والتهريج.

والحقُّ أنَّ ذلك كلَّه ليس سوى تعبير بأشكال مختلفة عن فقدان الهدف، وضياعه،وارتباك العقل واضطرابه، واهتزاز الثِّقة بالنفس، بل احتقارها، ولنا أن نتصوَّر إنسانًا يهزأ بنفسه وينتقص من عقله، وجماعة تجعل من هويتها مادة للضَّحِك والسُّخرية وإذا كان هذا غيابًا للوعي اللغوي، فإنَّه

جزء من حالة الغياب الشاملة، الغياب الحضاريِّ والعلمي، والسياسي والثقافي، والاقتصادي.

وفي مقابل غياب وعي الأنا بخطر اللُّغة وأهميتها نجد أنَّ الآخر بعولمته التي يريد أن يفرضها، ومصالحه التي يسعى لتحقيقها متيقظٌ تمامًا؛ لذلك فإنَّه لا يألو جهدًا في محاربة العربية، هذه الهُويَّة التي تربط بين نحو أربعمائة مليون إنسان، والإسلام هذا الدِّين الذي يجمع ما يَزيد على مليار وخمسمائة مليون إنسان، وليس الوعي بخطر اللُّغة والدين مستورًا، يُستنبط أو يُستشف من الكلام أو الأفعال؛ لكنَّه صريح مباشر لا غموض فيه ولا لَبْس، كما أنَّه ليس وعيًا يظهر على ألْسنة المغمورين وأنصاف المثقَّفين والساسة،وفي أفعالهم ممَّن قد يجهلون دلالاتِ الألفاظ، إنَّه عند أولئك المنظرين الإستراتيجيين الذين ينتمون إلى مؤسَّسات أبحاث رفيعة المستوى تُعدُّ مراكز لدِّراسات المستقبل، وتحظى بدعم أصحاب القرار السياسي في أعلى مستوياته، وتُعتمد في اتخاذ القرارات وبناء السياسات،ونكتفي بواحد فقط من هؤلاء صمويل هنتنجتون صاحب الكتاب الذائع صراع الحضارات، الذي يؤكِّد أنَّ اللُّغة والدين هما العنصران المركزيان لأيِّ ثقافة أو حضارة، في إشارة واضحة إلى أنَّ الساحة الأخطر للصدام هي ساحة اللُّغة والدِّين، فإذا ما تحقَّق الانتصار فيهما أصبح من السَّهل الهيمنة على الحضارة المعادية واستتباعها.

وبين غياب وعي الأنا ويقظة الآخر، تبدو الهُويَّة العربية الإسلامية، وفي القلْب منها اللُّغة مكشوفة، غير قادرة على المواجهة، ويصبح خطرُ الزوال أو الانحسار أو التشويه واردًا، فعن طريق هذه الهُويَّة، وهذه اللُّغة ، سيحدُث الاختراق اختراقُ العقل العربي الإسلامي والعبث في خلاياه بما تَعنيه من خصوصية وقِيَم، وتاريخ وحضارة، فهل ننتظر حتى يحدُثَ ذلك؟ أم سنقف بالمرصاد، خاصَّة أنَّ العابثين يلحُّون في طرْق الأبواب، ويسلكون مختلف الطُّرق منذ أكثر من قرن؟!

أثر العولمة على الهوية العربية الإسلامية:

العولمة ظاهرة أفرزتها ثورة الاتصالات وتقنية المعلومات في ظل النظام العالمي الجديد، الذي أتاح للولايات المتحدة ودول الغرب السيطرة الكاملة والهيمنة على العالم، في كافة المجالات وقد اهتم المفكرون بهذه الظاهرة وما يترتب عليها من ونتائج تؤثر على الناس في شتَّى مناحي الحياة،وبصفة خاصة، على هويتهم وعندما نذكر مصطلح العولمة ، أو نسمعه، فالذهن يتجه فوراً إلى الكونية، أي إلى الكون أو العالم الذي نعيش فيه، ومن هنا ندرك أن المصطلح يعبر عن حالة من تجاوز الحدود السياسية الراهنة للدول إلى آفاق أكثر اتساعاً تشمل العالم بأسره وهذا يعني تنازل الدولة الوطنية، أو حملها على التنازل عن حقوقها، لصالح العالم، أو بعبارة أدق، لصالح المتحكمين في هذا العالم وتحَكُّم الولايات

المتحدة الأمريكية في أكثر من ٦٥% من وسائل الإعلام العالمية، ساعدها إلى حد بعيد في نشر الطابع الأمريكي ولما كان من اليسير على الولايات المتحدة نشر القيم والمبادئ الأمريكية، لامتلاكها وسائل القوة الاقتصادية والعسكرية، كان من البديهي أن تسخر هذه العولمة لصالحها فالعولمة هي هذا النظام العالمي الجديد، أحادي القطب، يدور في فلكه كافة دول العالم، ويسيطر اقتصادياً وثقافياً واجتماعياً وعسكرياً وتكنولوجياً وتلعب فيه الولايات المتحدة دوراً فاعلاً ومحركاً وأساسياً.

وتركز بعض الكتابات العربية التي تعرضت للعولمة على المخاوف المتوقعة من غزو العولمة الثقافية وتهديد موجاتها المتدفقة للهوية العربية الإسلامية أو الهوية الثقافية القومية وتجدر الإشارة إلى أن مفهوم الهوية الثقافية القومية الذي يعنينا هنا، والذي يُقصد به الهوية المشتركة لجميع أبناء الوطن العربي من المحيط إلى الخليج، لا يعني قط إلغاء ولا إقصاء الهويات الوطنية القطرية ولا الهويات المحلية والطائفية إنه لا يعني فرض نمط ثقافي معين على الأنماط الثقافية الأخرى، المتعددة والمتعايشة، عبر تاريخنا المديد داخل الوطن العربي الكبير وتعتبر اللغة من أهم العناصر التي تُشَكِّل هوية أية جماعة وأي وطن، وهي التي تطبع هذه الهوية بطابعها الثقافي المميز واللغة العربية هي اللغة المشتركة التي يتحدث بها جميع أبناء الأمة العربية ، وهي لغة

التراث المشترك،ولغة العلم والثقافة، وبالتالي لغة والحداثة إنها الرابطة المتينة التي توحد بين مستويات الهوية في الوطن العربي، وهي الأداة التي بها يمكن للعرب الدخول في العالمية وتحقيق الحداثة ويمكن للغة العربية إذا أردنا أن تكون جسراً تعبر عليه ثقافات الشرق والغرب، فينتقل إلينا بواسطتها ما وصل إليه الآخرون من تقدم علمي وتكنولوجي ، ويكون دَوْرُنا الأهم في تفعيل حركة النقل والترجمة هو دقة الاختيار والتركيز على ما يفيد خططنا ولقد أنفقت اليابان عشرات المليارات على حركة الترجمة لتضع شعبها ومؤسساتها الأكاديمية على قدم المساواة معرفياً مع العالم الذي كانت تقوم عليه العولمة المعاصرة فهل يمكننا أن نفعل شيئاً شبيهاً بما فعلته اليابان في هذا المجال؟.

إن الثقافة العربية بمختلف مستوياتها المادية والروحية تتميز بنوع من الثنائية، التي طبعتها منذ ما يقرب من قرنين، نتيجة احتكاكها مع الثقافة الغربية، وهي ثنائية التقليدي والعصري التي كرست الازدواج والانشطار داخل الهوية الثقافية العربية وليست العولمة وحدها هي المسئولة عن نشر ثقافة دون أخرى في عالمنا العربي، وليست هي التي تقود معركة الغزو الثقافي،لأن جميع تكنولوجيات الاتصال في بيوتنا مفتوحة على العديد من محطات الإذاعة والقنوات الفضائية العالمية، والشبكة العنكبوتية الإنترنت وغيرها، ولم نعمل شيئاً في سبيل وقفها

وهذا يعني أن ما يسمى بالغزو الثقافي للعولمة لا يتضمن أي نوع من الاقتحام القسري بواسطة قوة خارجية تقوم بانتهاك خصوصيتنا أو الاعتداء عليها وليس بالضرورة أن كلَ ما يهجم على هويتنا العربية والإسلامية قادمٌ إلينا من الخارج، فإن الذين يتابعون منّا القنوات الفضائية الأجنبية، والشبكة العنكبوتية الإنترنت، والمجلات والجرائد والكتب الأجنبية الخليعة،لا يزالون قلّة لكن الوسائل التي اخترقت كياننا وثقافتنا ووصلت إلى أبنائنا وبناتنا،صغاراً وكباراً، في بيوتنا ومؤسساتنا ، هي من صنع أنفسنا وتتمثل هذه الوسائل في بعض الإذاعات والقنوات الأرضية والفضائية العربية وعدد غير قليل من الصحف والمجلات التي تفاجئنا وتفجعنا بتقديم أكثر البرامج والكتابات والصور تهتّكاً وبُعداً عن قِيَمنا الإسلامية وثقافتنا العربية ومع ذلك فإنه يتعين علينا أن نوجِد لدى جماهيرنا وعي بأن يختاروا من بين الصور والرسائل الإعلامية المختلفة ما يتفق مع قيمنا الدينية ومثلنا الأخلاقية ومعتقداتنا الاجتماعية وتوجهاتنا السياسية، وبمعنى أعم وأشمل، ما يتفق مع ثقافتنا القومية دون أن نغالي في الحديث عن مساوئ العولمة وآثارها الضارة المدمرة وعلينا أن نوجِد آلية نتعامل من خلالها مع الجوانب السلبية للعولمة بالشكل الذي يحفظ للأمة العربية هويتها ويضمن لها مكانتها بين الأمم

ويساعد على تحقيق آمالها، ويؤكد الحفاظ على حقوقها الكاملة في السيادة والتقدم والتعاون العادل المثمر بين الشعوب.

إن الأمة العربية والإسلامية لديها مقومات النهوض الثقافي والفكري، لكنها تحتاج إلى إرادة قوية قادرة على تفعيل هذه المقومات، ويمكنها وضع الآليات التي تستطيع من خلالها تنفيذ استراتيجيتها حتى نحتل موقعاً يرضينا على الساحة العالمية وإذا سَلَّمْنا بأن العولمة هي واقع قائم لا مفرّ منه، بسبب ما يشهده العالم من تغيرات متلاحقة وسريعة في مجال الاتصال والتكنولوجيا، فالخيار الذي نأخذ به هو التعامل مع معطيات العولمة بصورة جادة وواقعية،و نحاول أن نأخذ موقعًا ملائماً في هذا العالم، دون أدنى تفريط في هويتنا وثوابتنا ونعي أن لكل إنسان مصالحه الخاصة، فكما أن لدينا مصالحنا، فلدى الآخرين مصالحهم في شتى المجالات الاقتصادية والسياسية والعسكرية والإعلامية وغيرها، وهم يعملون جاهدين على تحقيقها ولا نستطيع أن نوقف الآخرين عن تحقيق مصالحهم، لكن ما نستطيع أن نفعله هو التصميم على مواكبة العصر، والأخذ بما تصل إليه أيدينا من تقدم علمي وتكنولوجي ويرى المسلمون أن العولمة بمعنى التسليم للهيمنة الغربية، وفرض التبعية للغرب، والسير تحت لوائه، أمر مرفوض تماماً ويعتقدون أن العولمة بالمفاهيم الغربية، ضد الدين الإسلامي الذي يفضحها ولا يقبلها ، وهم

يرون في هذه القضية نوعاً من التحدي: فإما نكون أو لا نكون ويرى أصحاب هذه النظرة أن الأمة إذا قبلت أسس العولمة الغربية تكون قد فرطت في دينها، وإذا تمسكت بدينها فلا يجب أن تقبل شيئاً من هذه العولمة ، لما تجلبه من سلبيات وأخطار وإذا كان الأمر كذلك، فما العمل إزاء سلبيات العولمة وأخطارها التي يرى فيها البعض تهديداً للهوية الثقافية العربية والإسلامية؟ يرى البعض أن التعامل مع الغرب لا يمكن أن يتم بالاختيار والانتقاء، فإما أن نأخذ عن الغرب كل شيء، فنصبح غربيين أو أشبه بالغربيين، أو أن ندير ظهرنا كلية للغرب حماية لأصالتنا ونقائنا ومن الطبيعي أن تتفاوت وجهات النظر تجاه المواقف التي ينبغي تبنيها فيما يتعلق بالتعامل مع الغرب أو بالانفتاح على الآخر، وما ينجم عن ذلك من تأثيرات أجنبية تهدد هويتنا الثقافية وهناك موقفان سائدان، هما:

١ موقف الرفض المطلق وسلاحه الانغلاق الكلي الذي يُوَجَّه إلى الذات.

٢ موقف القبول التام للعولمة وما تمارسه من اختراق ثقافي، أي الارتماء في أحضان العولمة والاندماج فيها .

وتجدر الإشارة إلى أننا لا نقلل، ولا نهوِّن من الخطورة التي يمكن أن تلحقها العولمة الثقافية بهويتنا بوجه خاص، وبالتنوع الثقافي بوجه عام، لكننا في نفس الوقت، لا نميل إلى المبالغة في ذلك وحتى لا نُصاب

بالجمود، فنتخلف عن مواكبة هذا التطور العلمي المتسارع من حولنا، يجب أن نتقبل الجديد، ونسعى إليه، مع المحافظة على هويتنا الثقافية بعيداً عن التعصب والانغلاق وإذا كانت ثقافتنا العربية تعاني اليوم من الثنائية والانشطار، ومن الاختراق الثقافي بفعل العولمة، فإن ما يجب أن نفعله هو الانطلاق من الداخل، أي من داخل ثقافتنا العربية نفسها، لأنه من المؤكد أنه لولا الضعف الداخلي لما استطاع الفعل الخارجي أن يمارس تأثيره بالصورة التي تجعل منه خطراً على الكيان والهوية والعولمة الثقافية ليست دائماً عدواناً مقصوداً مخططاً له، يُوَجَّه إلينا لاستلابنا حضارياً وثقافياً ويجب ألا نتعامل مع العولمة الثقافية من موقف التوجس والرفض والعدوانية دائماً، لأننا بذلك نكون قد شجعنا التقوقع والتراجع إلى الذات دون أن نستفيد من التفاعل الحضاري الضروري لتطور الثقافات وتطور الحضارات ولا بد أن نعي ونعترف أن في أوربا وأمريكا علماء ومفكرون اجتماعيون وسياسيون واقتصاديون، لهم مكانتهم وأثرهم في الفكر الإنساني وفي تطوير العلم والمعرفة، ولهم نتاج جدير بأن نطّلع عليه ونستفيد منه إذا أردنا لأنفسنا ولأمتنا أن نسير في ركب التقدم وأن نشارك في موكب الحضارة والعلم وليست الحياة في الغرب على النحو الذي تنقله لنا القنوات الأرضية والفضائية من مظاهر العُرْي الفاضح، والتهتّك، وإنما فيها أيضاً من التستّر والاحتشام والتدين

والعمل الجاد والسعي الدائب، بالقدر الذي أوصلهم إلى ما هم فيه الآن لذلك، يجب علينا أن نوجِد الآلية التي نختار بها ما لا يتعارض مع عقيدتنا وهويتنا، وأن نُكَوِّن الفكر الذي نستطيع به التعامل مع الفكر الآخر، الفكر الناقد الذي يستطيع أن يختار ما يناسبه ويطرح بعيداً ما لا يناسبه.

اللغة العربية عبر الإنترنت

الكثير من الكلمات والمصطلحات دخلت وسكنت ثنايا لغتنا العربية، مثل: البنسلين، الإنفلونزا، التلفزيون، التلفون أو الكمبيوتر أو الإنترنت الخ، رغم أن مجامع اللغة العربية قدمت لنا بعض البدائل التي لا تسمن ولا تغني من جوع، وفى المقابل أيضاً هناك الكثير من الكلمات عادت إلينا وإيران،الهند،باكستان، تركيا، إسبانيا لغاتها ممتلئة بكلمات عربية.

أما الخوف، وكل الخوف، فهو الماثل أمام أعيننا من أمثلة صارخة في تحوُّل الكلمات المبهمة غير الدقيقة، أو التي لا معنى وقيمة لها، في تحولها بفوضى، إلى مصطلح.

والخوف، كل الخوف، من العربليزية التي انتشرت عبر الشبكة العنكبوتية بطريقة مرعبة فالخوف، كل الخوف، من الشباب المستلب الذى لا يقرأ العربية ولا تهزُّه قصيدة شعر الخوف، كل الخوف، أن هذا

الممسوخ، الذي مسخ أجمل ما في الحياة العربية: لغتها، سيصبح ذات يوم أغبر صاحب قرار.

هذه اللغة الممسوخة إن جاز استخدام كلمة لغة لها منتشرة للأسف قبل أن نعرف الشبكة العنكبوتية أو الإنترنت لكن بشكل آخر؛ إنها منتشرة في البيوت والجامعات والشوارع والمحلات التجارية وعناوين الشركات الاستثمارية وفي كل مكان، إنها نموذج التشوُّه والبؤس الحضاري الذي نعيشه على الأرض العربية، إنها، وبكل بساطة تعبير عن انكسار الأمة فينا وانكسارنا في قلب الأمة بالمعنى الواقعي لا التشاؤم .

عندما نعرف أن الجامعات الغربية تطلق على مواد اللغة اسم اللغة والحضارة، لأن التفكير يتسلَّل ضمن استراتيجية التسمية، فاللغة ليست محايدة أبدًا كما قال أفلاطون أنها مرآة عاكسة للفكر، إنما اللغة، تدخل في عمق الفكر والتفكير وتشترك جميع اللغات الإنسانية في ثلاث مكونات أساسية:الأصوات والدلالات والتراكيب،كما أنها تتصف بالتجديد والإبداع، فكل لغة تملك نظاماً ما يساعدها على توليد وإنتاج عدد غير متناه من التعبيرات والتراكيب التي من شأنها أن تؤدي إلى تقدم الشعوب وتمكنهم من توظيف طاقاتهم وقدراتهم العقلية وحلِّ مشاكلهم اليومية فتلك الخصائص والسمات لا تنفرد بها لغة عن سواها من اللغات بل تشترك فيها كافة اللغات على الأرض وفي كل الأزمنة بما في ذلك العربية

ولا يوجد أيٌّ تميُّز أو خصوصية لأي لغة عن الأخرى إلا بقدر اهتمام شعوبها وقياداتها الفكرية والعلمية والسياسية.

ولو استحضرنا تجارب الشعوب لأهتز نخاع العظم، لعظمة تجربتهم اللغوية من البعد القومي لها فالكوريون، وطوال ستين سنة أي بمرور جيلين كاملين، تمَّ منعهم من تداول واستخدام لغتهم فترة الاحتلال الياباني لهم، ولما تحررت البلاد جاء أول مرسوم في أول عدد من الجريدة الرسمية بمنع تداول اللغة اليابانية لغة المحتل فاحتشد الكهول والشيوخ ليلقنوا الأطفال والشباب لغتهم القومية،ولم تنطلق السنة الدراسية الأولى بعد إلا وقرروا بعث لغتهم القومية في كوريا التي تعد الآن من أهم الدول النامية وقد سبقتنا بمراحل خطيرة ومهمة اقتصاديًا وعلميًا وتقنيًا.

ومن سمع كلمات الزعيم الفيتنامي الكبير هوشي منه فى قوله لشعبه حينما طرحت مسألة تأكيد هوية بلاده حافظوا على صفاء اللغة الڤيتنامية كما تحافظون على صفاء عيونكم، تجنبوا بعناد أن تستعملوا كلمة أجنبية حين يصبح بإمكانكم أن تستعملوا المفردات الڤيتنامية،تهزه هزاً وقد عبَّر عن هذا الموقف الزعماء الذين خلفوه فقال فام فان دونج: لقد عبَّرت اللغة الڤيتنامية عن الثورة الڤيتنامية ورافقتها وكبرت معها.

ومثالاً آخر لبلد أفريقي يعد من الدول النامية الضعيفة اقتصاديًا مثل: تنزانيا التي وقف زعيمها جوليوس نيريري بقوة بعد التحرر للدفاع

عن السواحلية اللغة الوطنية لبلاده فى مواجهة الإنجليزية حتى أصبحت جامعة دار السلام تدرس سائر المواد بما في ذلك الطب والهندسة باللغة السواحلية وهناك تجربة عربية، وإن لم تجد نجاحاً كبيراً لظروف معقدة متشابكة بهموم أخرى ونقف بإجلال أمام التجربة الجزائرية في إعادة اللغة العربية إلى المكتب والشارع والبيت الجزائري إلى حدٍّ كبير لكن من كلِّ تجربة الجزائر اللغوية نتوقف أمام موقف المحتل عند حادثة وقعت في عهد الرئيس بومدين الذي كان مهتمًا بتعليم المغتربين في فرنسا اللغة العربية من خلال ما كان يعرف باسم: ودادية المغتربين وإن توقف المشروع بعد رحيل بومدين، لأننا وللأسف كعرب ترتبط المشروعات دوماً عندنا بالأفراد الذين ما أن يرحلوا حتى نهدم ما بدأوه بدون هذا لن نكون عربًا والذي حدث أن بعض الفرنسيين رغب فى تعليم أبنائهم اللغة العربية من خلال إلحاقهم بهذه المدارس التي أنشاتها الودادية في بعض المدن الفرنسية،وحين تمَّ عرض الأمر على وزارة التربية الفرنسية رفضت بحزم الاستجابة لهذا الطلب، وبعثت برد واضح حاسم قالت فيه: نذكركم بالقاعدة التربوية الفرنسية التي تمنع التلميذ الفرنسي من أن يتعلم لغة أجنبية في المرحلة الابتدائية حفاظًا على شخصيته الوطنية في هذه السن المبكرة.

إنَّ الدراسات التي قامت بها مراكز البحوث الدولية حول مصير اللغات أظهرت أن اللغات التي لا يستخدمها أقل من خمس سكان العالم لن يكتب لها البقاء، وأنه لن تبقى من اللغات العالمية إلا تلك التي تنتشر بين أكثر من مليار نسمة وهي: الإنجليزية، الإسبانية بحكم استخدامها في أمريكا الجنوبية، الصينية، واللغة العربية إذا أصبحت لغة مسلمي العالم.

وبعض الشَّباب يُتْقن التحدُّث بلغات جديدة، والغريب أنَّها ليست لغة عربيَّة أو إنجليزيَّة أو هنديَّة، حتَّى إنَّها لا تتبع أيَّة دولة، بل هي قاموس شبابي خاصّ جدًّا من عيّنة: حطيت إيدي على البالف، ادعك في الفانوس دلوقتي، كبّر الجمجمة، وغيرها من عبارات يصْعب حصرُها، وتختلف من مجتمَع لآخر حسب لهجتِه وعاداته وتندرج الألفاظ السَّابقة وغيرها تحت ما يُعرَف بمصطلح الرَّوشنة الَّذي ارتبط ظُهوره وراج كثيرًا في أوْساط الشَّباب كأحَد سِمات مرحلة المراهقة، والمفهوم يُعنى بالشَّكل الخارجي ستايل للتصرّف من خلال سلوك أو هيئة أو كلمة، والغالب فيه أنَّه يكون تقليدًا أعمى لتقاليع مستوْردة وسلوكيَّات جنونيَّة، بحسب تأكيد عادل هندي الخبير في العلاقات الإنسانيَّة ويرجع السَّبب في انتِشار مثل هذه العبارات إلى ضعْف الوازع الدّيني، وتغْييب معنى الهدف والغاية، وكذلك الاغتِرار بكلّ ما هو غربي، والاعتِقاد بأنَّ الغرب هو المُنْقِذ، مع بطلان هذا الاعتِقاد فيما هو معلوم من إحصائيَّات المجتمع الغربي

المؤكّدة لانحِداره أخلاقيًّا، إضافة إلى سوء التَّربية للأبناء والبنات ويُعَدّ غياب القدوة الصَّالحة النَّافعة من أسباب انتِشار ألفاظ الرَّوشنة، وكذلك الإعْلام له دَور أيضًا في تَمييع الشَّباب، من خِلال تَمثيل صورة البطل على أنَّه الشَّابّ الروش المعاكس للفتَيات النَّاطق بالكلِمات الخبيثة، والَّذي يتحدَّث لغة سفيهة، وكذلك دوْر الإعلام في تشْويه صورة الدِّين والتديُّن، وتفريغ عقول الشَّباب من القضايا المهمَّة في الحياة، كقضيَّة الغاية وقضايا الأمَّة بوجه عامّ.

وتحمل لُغة الشَّباب الجديدة إذا صحَّ هذا التَّعبير كثيرًا من التمرّد والعدوان ؛ لأنَّ المتحدّث بها يريد أن يقول كلامًا يَحتوي على رموز لا يفْهمُها الكبار، بحيثُ تحمل مدلولات غريبة بعض الشَّيء، فمثلاً كلمة ادعك في الفانوس دلوقتي تعني: اذهب من أمامي، وكلمة حطيت إيدي على البالف؛ يعني: أنَّني فهمت الموضوع، وذلك حسب تفسير الدّكتور محمَّد المهدي ـ أستاذ الطّبّ النَّفسي بجامعة الأزْهر للحالة النَّفسيَّة التي يعانيها مَن يتحدَّثون بهذه اللَّهجة ويعود السَّبب في انتِشار مثل هذه الألفاظ والكلِمات على لسان العديد من الشَّباب إلى بعض الأفلام والأعمال الفنّيَّة الَّتي شهدت تداوُلاً كبيرًا في العالم العربي، وأصبحت محلَّ اقتِباس وتقليد من المُشاهِد العربي، وكما يقول المهدي في برنامج مع الشباب على قناة الرَّحمة، منها على سبيل المثال لا الحصْر مسرحية مدرسة

المشاغبين، وكذلك أفلام محمد سعد اللمبي، وعوكل، لافتًا إلى أنَّ الفضائيَّات العربيَّة نجحتْ لِلأسف في فرْض هذه الأعمال وغيرها كمادَّة شبه يوميَّة على أجندة المشاهد العربي بشكْلٍ عامّ، ومنه الشَّباب بشكْلٍ خاصّ، ما يفسّر إلى حدّ كبير انتِشار هذه اللُّغة على ألسِنة الشَّباب دون إدراك حقيقي لخطورتها.

يشاركه الرَّأي الدكتور هندي مؤكِّدًا أنَّ هذه المصطلحات يردّدها شباب فاقد الهويَّة الإسلاميَّة، ويعيش مرحلة من الضَّياع والفراغ على كافَّة المستويات، كما تهدف الروشنة إلى فقدان قيود الرّقابيَة مما يساعد على الانفِلات الأخلاقي، وتعْليم الفوضى والتسيّب، إضافة إلى انتِشار السلبيَّة في المجتمع؛ ممَّا يعطّل تقدّم الأمّة.

ويمكن معالجة هذا النَّوع من أنواع تمرّد الشَّباب بعمل حملات إعلاميَّة هادفة، تبيّن فضل وأصالة اللّغة العربيَّة ومكانتها بين اللغات، إضافة إلى وقْف هذه العبارات في الأفلام والمسلْسلات والمسرحيَّات، وانتشال الشَّباب من دوَّامة الرَّوشنة الَّتي يعيشُها إلى ساحات المساجد والنَّدوات الثَّقافيَّة والعلميَّة، هذا بالإضافة إلى تعْزيز انتِماء الفرْد لدينه وعدم الانسياق وراء كلِمات غريبة تتردَّد في أرْوقة الكوفي شوب والمنتديات، وتردّدها أفلام هابطة وممَّا يُساعد في العلاج أيضًا: عوْدة دور التَّربية إلى دورها الحقيقي تربية الأبناء منذ الصِّغَر، تَّربية الضمير، والرقابة

الدَّاخليَّة، وتنمية الحاسبة النَّفسيَّة، وتفْعيل دور المدرسة والجامعة في تصْحيح مفهوم الشَّباب الحقيقي في الحياة، وكذلك تفقُّد الأصحاب والأصدِقاء الصحبة الصالحة، إضافة إلى تدريس القدوات الصَّالحة للشَّباب والفتيات كنماذج من الشَّباب النَّاجح من جيل الصَّحابة والتَّابعين والعصر الحالي، وكذلك دور الدُّعاة إلى الله في احتِواء الشَّباب بتغْيير لغة الخطاب وإعلان الحرْب على لغة الرَّوشنة، وحثّ الشَّباب على مقاطعتِها.